منزلة الإمام الحارثي في الحديث

علاء الدين الكرز بن محمد(*)

المقدمة

الحمد لله الذي أبدع كل شيء فأحسنه وأرسل رسوله محمدًا ﷺ بهذا الدين فبلَّغه وبيَّنه وبعد:

فإن للسنة النبوية المكانةَ الساميةَ باعتبارها المصدر الثاني للتشريع ، وهي المبيِّنةُ لكتاب الله ؛ لذا اهتم العلماءُ منذُ فجر الرسالة المحمدية بحفظها وجمعها وتدوينها وتبليغها عملاً بقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : «نضَّرَ اللهُ أمرًا سَمِعَ منا حديثًا ، فحفِظَه حتَّى يُبلِّغَه ، فَرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيهٍ »(١) .

ومِن هؤلاءِ العلماءِ الأفذاذِ الذين كان لهم باعٌ في هذا المجال الإمامُ الحارثي الذي قام بجمع الآثارِ التي حدَّثَ بها الإمام أبو حنيفة ، وتكمنُ أهمية كتابه المسند في جمعِه شطرًا من الآثار التي استدَّلَ بها الإمامُ أبو حنيفة وأصحابُه في الفقه الإسلامي .

جاء هذا البحث في: مقدمة ومطلبين:

المطلب الأول: سيرته الشخصية والعلمية .

المطلب الثاني: منزلته عند علماء الجرح والتعديل .

المطلب الأول: سيرته الشخصية والعلمية:

---

* كلية الشريعة – جامعة دمشق .

أولاً : اسمه ونسبه:

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن الخليل الفقيه البخاري الكلاباذي[٢] منسوب إلى كلاباذ بالفتح والباء الموحدة وآخره ذال معجمة ، وهي محلة كبيرة ببخارى[٣] قال ابن حجر: «هي بأعلى البلد متصلة بالسور»[٤] السبذمُوني بضم السين أو فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الذال المعجمة وضم الميم وفي آخرها النون هذه النسبة إلى قرية من قرى بخارى على نصف فرسخ منها[٥] . الخازمي[٦] هذه النسبة إلى أمير خراسان[٧] ويعرف بعبد الله الأستاذ ولقب بالأُستاذ لأنه كان يختص بدار الأمير الجليل إسماعيل بن أحمد الساماني ، ويسألونه فيها عن أشياء فيجيب فعرف بالأستاذ[٨] .

ولد ليلة الأربعاء لغرة شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين . وتوفي أبي ليلة الجمعة لخمس مضين من شوال سنة أربعين وثلاثمئة[٩] ببخارى[١٠] . ودفن بسبذمون[١١] وله اثنتان وثمانون سنة[١٢] .

ثانيًا: مصنفانه:

١- صنف مسند أبي حنيفة الإمام[١٣] .

٢- له كتاب «كشف الآثار» في مناقب أبي حنيفة[١٤] ، وذكر حاجي خليفة عند ذكره مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، أنه قد صنف جماعة عن الحنفية لإمامهم كتبا منها تأليف: الإمام عبد الله بن محمد الحارثي ألف مجلدًا سماه «كشف الآثار» ، ولما أملاه كان يستملي عليه أربعمئة مستملٍ[١٥] ، وكان قد سمّاه حاجي في موضع آخر «كشف الآثار الشريفة في مناقب أبى الحنيفة»[١٦] .

٣- وصنف كتاب الكشف عن وهم الطائفة الظالمة أبا حنيفة[١٧] .

ثالثا: شيوخه وتلامذته:

سمع ببخارى ونيسابور[١٨] . وسماعاته في سنة ثمانين ومائتين قبلها وبعدها[١٩] . وله رحلة إلى العراق وخراسان، ثم خرج إليها على كبر السن[٢٠] . وهذه الرحلة الواسعة تدل على كثرة من التقى بهم هذا الإمام من أشهرهم:

أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي ، حافظ العصر والمحدث البحر ، يلقب بعقدة ، كان إليه المنتهى في قوة الحفظ وكثرة الحديث ، صنف وجمع وألف في الأبواب والتراجم .

قال ابن عدي: صاحب معرفة وحفظ وتقدم في الصنعة ، رأيت مشائخ بغداد يسيئون الثناء عليه ، ثم قوى ابن عدي أمره وقال: لولا أني شرطت أن أذكر كل من تكلم فيه يعني لا أحابي لم أذكره للفضل الذي كان فيه من الفضل والمعرفة ، ثم لم يسق له ابن عدي شيئًا منكرًا . مات في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة [٢١] .

أما تلامذة الحارثي فكثر روى عنه أبو العباس بن عقدة وأبو بكر بن أبي دارم الكوفيان وأبو بكر بن الجعابي وأحمد بن محمد بن يعقوب الكاغدي البغدادي وعامة أهل بخارى[٢٢] . وأكثر عنه أبو عبد الله بن منده[٢٣] .

١- أبو بكر بن الجعابي:

أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي البغدادي الحافظ البارع فريد زمانه قاضي الموصل . ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين وتخرج بابن عقدة وصنف الأبواب والشيوخ . قال أبو علي التنوخي: ما شاهدنا أحدًا أحفظ من أبي بكر الجعابي . وقال: كان إماما في

معرفة العلل وثقات الرجال وتواريخهم . مات ببغداد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة[٢٤] .

٢-أبو بكر بن أبي دارم : الحافظ المسند الشيعي أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي، شيخ الحاكم كان موصوفا بالحفظ واتهم في الحديث وجمع في الحط على الصحابة .

كذبه الذهبي وقال: مات في أول سنة سبع وخمسين وثلاثمائة[٢٥] .

٣- أحمد بن محمد الكاغدي البغدادي: أحمد بن محمد بن يعقوب بن ميدان أبو بكر الفارسي الوراق الكاغذي . قال ابن أبي الفوارس: ضعيف جدا فيما يدعى عن ابن منيع وسماعه من المتأخرين لا بأس به وكان رديء المذهب . وقال العتيقي: ثقة . توفي سنة تسعين وثلاث مائة[٢٦] .

٤- ابن منده: أبو عبدالله الحافظ الإمام محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم وإبراهيم يلقب منده بن الوليد رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وسمع الكثير وصنف الكتب روى عنه أشياخه وأقرانه ومن هو أقدم منه سنًا وأعلى إسنادًا من الحفاظ[٢٧] .

قال ابن حجر: الحافظ الجوال صاحب التصانيف كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم وقال: حدث بالكثير وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر . مات سنة خمس وتسعين وثلاث مائة[٢٨] .

المطلب الثاني: منزلته عند علماء الجرح والتعديل:

قال الحاكم: «الأستاذ صاحب عجائب وأفراد عن الثقات سكتوا عنه»[٢٩] .

وقال الخليليّ: «يعرف بالأستاذ له معرفة بهذا الشأن ، وهو لين ضعّفوه ، حدثنا عنه الملاحميّ وأحمد بن محمد البصير بعجائب»[٣٠] .

قال ابن حجر: «وبقية كلام الخليليّ كان يدلس»[٣١] .

وقال السمعاني: «وصفوه برواية المناكير والأباطيل»[٣٢] . ونقل ابن الجوزي عن أبى سعيد الرواس أنه متّهم بالوضع[٣٣] .

قال الحافظ عبد القادر القرشي بعد أن ذكر كلام أبي سعيد الرواس الذي نقله ابن الجوزيّ «عبد الله بن محمد أكبر وأجل من ابن الجوزيّ ومن أبي سعيد الرواس» [٣٤] .

وقال الذهبي: «قد ألف مسندًا لأبي حنيفة الإمام وتعب عليه ولكن فيه أوابد ما تفوّه بها الإمام راجت على أبي محمد»[٣٥] .

ووصفه بأنه: فقيه، وشيخ الحنفية بما وراء النهر، كبير الشأن ، كثير الحديث إمام في الفقه [٣٦] .

وقال عنه أيضًا في ختام ترجمة قاسم بن أصبغ في وفيات سنة أربعين وثلاثمئة: «وفيها مات عالم ما وراء النهر ومحدثه الإمام العلامة أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الحارثي البخاري»[٣٧] .

وكان ابن مندة يُحسّن القول فيه[٣٨] .

ووصفه ابن حجر: بـ شيخ الحنفية[٣٩] وبـ الحافظ قال ابن حجر: «أبو محمد الحارثي هو عبد الله بن محمد بن يعقوب الحافظ الحنفي ، وهو الأستاذ وهو البخاري»[٤٠] .

وقال الخوارزمي : «ومن طالع مسنده الذي جمعه للإمام علم تبحّره في علم الحديث وإحاطته بمعرفة الطرق والمتون»[٤١] .

والذي حملهم على تضعيفه أسباب ثلاثة :

١- أنه صاحب عجائب ومناكير وغرائب وأفراد ، لكن قلما يخلو منه أحدٌ من الحفاظ ولا سيما إن كان مكثرًا من رواية الحديث ، فلا عجب أن يقع في ذلك الحارثيّ المكثر من الحديث .

قال العالم محمد أمين الأوركزئي «والذي يتلخص عندي من عباراتهم أنه متكلم فيه بما تكلموا لما وقع في روايته من الأفراد والمناكير ، ولكن هذا ليس بموضع الاستنكار ، فقلما تجد حافظًا مكثرًا من حفّاظ الحديث إلا وجدت عنده شيئًا كثيرًا من الغرائب والمناكير في مروياته . بل الموضوعات أيضًا ، فالجرح بمثل ذلك اعتساف بعيد عن الإنصاف»[٤٢] .

٢- إكثاره من الرواية عن أبي سعيد إياء بن جعفر ، وقد كذّبه ابن حبان[٤٣] ، ولم يروِ الحارثي عنه في هذا المسند إلا ثلاثة أحاديث[٤٤] .

قال محمد زاهد الكوثري:

«له مسند أبي حنيفة أيضا أكثر فيه جدا من سوق طرق الحديث ، وقد أكثر ابن مندة الرواية عنه ، وكان حسن الرأي فيه ، وقد تكلّم فيه أناس بتعصب . وأكثر ما يرمونه به إكثاره من الرواية عن النجيرمي إياء بن جعفر في مسند أبي حنيفة ، ولم ينتبهوا إلى أن روايته عنه ليس في أحاديث ينفرد بها هو ، بل فيما له فيه مشارك كما فعل مثل ذلك الترمذي في محمد بن سعيد المصلوب والكلبي . ولكن قاتل الله التعصب يعمي ويصم»[٤٥] .

٣- كونه كثير التدليس : وهذا لا يعد طعنًا فيه ؛ فكبار الأئمة قد دلسوا .

قال محمد قاسم عبده الحارثي: «ولكن الذي دعاهم لتضعيفه أنه كان كثير التدليس ، وهذا يختلف تمامًا عن تعمد الكذب ، فالتدليس شيء ،

والكذب شيء آخر . وإلا لكان أكثر المحدثين مردودين لأجله . بل من الأئمة من اشتهر بالتدليس والعنعنة فهل هذا يعتبر من الكذابين . فالراجح في نظري أنه ضعيف إذا دلس ، أما إذا ضبط الإسناد وقيده بالكتابة ، ووافقه غيره فهو مقبول»[٤٦] .

المراجع:

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، تأليف: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبويعلى، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد سعيد عمر إدريس.
- أسماء الكتب ، تأليف: عبد اللطيف بن محمد رياض زادة ، دار النشر: دار الفكر - دمشق/ سورية - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: د . محمد التونجي .
- الأنساب ، تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان/ بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . عمر عبد السلام تدمرى.
- تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- تذكرة الحفاظ ، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى
- تكملة الإكمال ، تأليف: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر ، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٠ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: د . عبد القيوم عبد ريب النبي
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تأليف: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٣م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي
- جامع المسانيد، تأليف: أبي المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي ، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تأليف: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ، دار النشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي .

- سنن أبي داود ، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، دار النشر: دار الفكر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
- سير أعلام النبلاء ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ ، الطبعة: التاسعة ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي
- الضعفاء والمتروكين ، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٦ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: عبد الله القاضي
- طبقات الحفاظ ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ ، الطبعة: الأولى
- العبر في خبر من غبر ، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار النشر: مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٨٤ ، الطبعة: ط٢ ، تحقيق: د . صلاح الدين المنجد.
- الكامل في ضعفاء الرجال ، تأليف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٩ – ١٩٨٨ ، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢.
- لسان الميزان ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند.
- المؤتلف والمختلف،المعروف بالأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط ، تأليف: محمد بن طاهر بن علي بن القيسراني ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- مسانيد الإمام أبي حنيفة وعدد مروياته المرفوعات والآثار، تأليف: محمد أمين الأوركزئي ، طبع مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي سنة ١٣٩٨هـ .
- معجم البلدان ، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار النشر: دار الفكر – بيروت
- معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، دار النشر: مطبعة الترقي- دمشق،١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م
- مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين" تأليف: الدكتور محمد قاسم عبده الحارثي، تأليف: الدكتور محمد قاسم عبده الحارثي، قرظه: العلامة المحدث محمد عبد الرشيد النعماني ، دار النشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية- كراتشي – باكستان-١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

● نصب الراية لأحاديث الهداية ، تأليف: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ، الطبعة: الأولى، تحقيق أحمد شمس الدين.

الهوامش :

(١) أخرجه أبو داود في العلم ، باب فضل نشر العلم ٣ / ٣٢٢ برقم(٣٦٦٠)، والترمذي في العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٣ برقم (٢٦٥٦).

(٢) انظر: تاريخ بغداد ١٠/١٢٦برقم٥٢٦٢، والأنساب ٣/٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٢٤

(٣) انظر: المؤتلف والمختلف ١/١٢٢ برقم ٢١٦، ومعجم البلدان ٤/٤٧٢ قال ياقوت الحموي : "و كلاباذ أيضا محلة بنيسابور ينسب إليها أحمد بن السري بن سهل أبو حامد النيسابوري الجلاب كان يسكن كلاباذ"

(٤) توضيح المشتبه ٧/٣٤٩ قال ابن حجر: "كلاباذ هذه ذكرها ابن السمعاني وقال وتعرب فيقال لها جلاباذ وذكرها القرطبي بضم الكاف قال وتعرب فيقال لها جلاباذ بالجيم".

(٥) الأنساب ٣/٢١٣

(٦) توضيح المشتبه ٣/٢٧

(٧) الأنساب ٢/٣٠٦

(٨) انظر:الأنساب ١/١٢٩و توضيح المشتبه ١/١٩٦

(٩) انظر: تاريخ بغداد ١٠/١٢٦برقم٥٢٦٢، والأنساب ٣/٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٢٤

(١٠) الأنساب ٣/٢١٤

(١١) ذكر عند ترجمة محمد بن عبد الستار العمادي الكردري أنه (دفن بسبذمون عند قبر الأستاذ أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب السبذموني على نصف فرسخ من البلد). الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/٨٣ برقم٢٤٣

(١٢) تذكرة الحفاظ ٣/٨٥٤، والعبر في تاريخ من عبر٢/٢٥٩
قال الخليلي مات بعد الثلاثين والثلاثمئة. الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/٩٧٢برقم٨٩٩

(١٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٤، وكشف الظنون ٢/١٦٨٠

(١٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/٣٤٥، وأسماء الكتب ١/٢٤٣

(١٥) انظر:كشف الظنون ٢/١٨٣٦-١٨٣٧

(١٦) انظر: كشف الظنون ٢/١٤٨٥، وكذا سمي في معجم المؤلفين ٦/١٤٥

(١٧) تاريخ الإسلام ٢٥/١٩٠، وتوضيح المشتبه ٧/٣٤٨

(١٨) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/٩٧٢برقم٨٩٩

(١٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/١٨٩

(٢٠) الأنساب ١٢٩/١

(٢١) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال٢٠٦/١ برقم٥٣، وتذكرة الحفاظ ٨٣٩/٣ -٨٤٢ برقم٨٢٠، ولسان الميزان ٢٦٣/١ برقم٨١٧.

(٢٢) تاريخ بغداد ١٢٦/١٠برقم٥٢٦٢

(٢٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٨٩/٤

(٢٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٦/٣برقم ٩٥٣، وطبقات الحفاظ٣٧٦/١ برقم٨٤٩

(٢٥) انظر:ميزان الاعتدال ٢٨٣/١ برقم ٥٥١، وطبقات الحفاظ ٤٢٠/٤٢ برقم٨٢٢

(٢٦) انظر:تاريخ بغداد ١٢٦/٥برقم٢٥٥٠، ولسان الميزان ٣٠١/١ برقم٨٩١

(٢٧) انظر: تكملة الإكمال ٣٠٤/١برقم٤٢٣

(٢٨) انظر:لسان الميزان ٧٠/٥-٧١ برقم٢٣٦

(٢٩) الأنساب ٢١٤/٣

(٣٠) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٩٧٢/٣برقم٨٩٩

(٣١) لسان الميزان ٣٤٨/٣برقم١٤١٦

(٣٢) الأنساب ١٢٩/١

(٣٣) انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٤١/٢برقم٢١١٨

(٣٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣٤٥/٢

(٣٥) سير أعلام النبلاء ٤٢٥/١٥

(٣٦) انظر: تاريخ الإسلام ١٩٠/٢٥

(٣٧) تذكرة الحفاظ ٨٥٤/٣

(٣٨) انظر: تاريخ الإسلام ١٩٠/٢٥

(٣٩) توضيح المشتبه ٣٤٨/٧

(٤٠) لسان الميزان ١٠٤/٧برقم١١١٣

(٤١) جامع المسانيد ٥٢٥/٢

(٤٢) مسانيد الإمام أبي حنيفة ص١٠٦

(٤٣) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣٧٣/٧ برقم١٠٢٤٨،ولسان الميزان ٢٧/١ برقم٣٥ و٥٣/٧ برقم ٤٩٤

(٤٤) وردت هذه الأحاديث في قسم التحقيق برقم٣٢ و٣٥ و٣٦

(٤٥) مقدمة نصب الراية ص٢٩

(٤٦) انظر: مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين ص٢٧٦